

٧ - تطوير الهجوم فى اتجاه المضايق

كنا فى مركز عمليات القوات المسلحة نتابع أعمال القتال يوم ١٣ أكتوبر . وفى الساعة الواحدة بعد الظهر ، اخترقت مجالنا الجوى طائرة أمريكية من طراز س ر - ٧١ تطير على ارتفاع أعلى من ٢٥ كيلومتراً ، وبسرعة تصل إلى ثلاث مرات من سرعة الصوت . بدأت خط طيرانها من البحر المتوسط ، واخترقت مجالنا الجوى فوق بورسعيد إلى السويس حيث غطت جبهة القناة كلها ، ومنها إلى منطقة البحر الأحمر لاستطلاع موانىء الغردقة وسفاجة وكذا مطاراتنا ووسائل الدفاع الجوى بالمنطقة . والتفت الطائرة غرباً إلى الوجه القبلى فوق مدينة قنا ثم شمالاً إلى الدلتا حيث استطلعت مطاراتنا ووسائل الدفاع الجوى والاحتياطيات . وبعد أن استكملت رحلتها الاستطلاعية عادت إلى البحر المتوسط للهبوط فى قاعدتها بأوربا .

اتصلنا بقيادة الدفاع الجوى للاستفسار عن سبب عدم اعتراض هذه الطائرة واسقاطها . وكان الرد أنها تطير خارج مدى صواريخ الدفاع الجوى ، كما أن مقاتلاتنا لا تتمكن من اللحاق بها . كظمنا غيظنا ، والضيق يملأ نفوسنا ، وعبَّر كل منا فى مركز العمليات عن هذا الغيظ والضيق بالكلمات التى يراها مناسبة .

كان معنى هذا الحدث أنه استطلاع جوى أمريكى لصالح إسرائيل ، وأصبحت أوضاع وحجم قواتنا بالجبهة وفى عمق الدولة كتابا مفتوحا أمام إسرائيل . وكان ذلك أول تدخل عسكرى أمريكى - بطريقة مباشرة وعلنية - يتم لصالح إسرائيل .

تطوير الهجوم :

لقد كان من المقرر أن تقوم قواتنا بتطوير الهجوم شرقاً فى اتجاه المضايق صباح نفس اليوم - ١٣ أكتوبر - ولكنه تأجل كما سبق القول ليكون يوم ١٤ .

وكانت القوة الرئيسية التى تغيرت أوضاعها هى الفرقة ٢١ مدرعة (قطاع الجيش الثانى) التى انتقلت من غرب القناة إلى شرق القناة فى منطقة الدفرزوار على المحور الأوسط فى سيناء فى قطاع نفس الهجوم استعداداً للهجوم . كما انتقلت بعض كتائب صواريخ الدفاع الجوى إلى شرق القناة لزيادة مدى وعمق نطاق تدميرها . ومن هنا فإن الاستطلاع الجوى الأمريكى الذى تنفذ يوم ١٣ قد رصد الوضع الجديد للفرقة ٢١ مدرعة بصفة خاصة وأوضاع باقى القوات فى سيناء أيضاً .

استأنفت قواتنا هجومها بعد تمهيد جوى ضد الأهداف الإسرائيلية الهامة ، وبعد قصفة نيران من المدفعية اشترك فيها عدد كبير من المدافع لمدة ١٥ دقيقة ، بدأ الهجوم فى الساعة السادسة والنصف صباح يوم ١٤ على أربعة محاور إثنان منها فى قطاع الجيش الثانى وإثنان فى قطاع الجيش الثالث .

كان الاعتماد الرئيسى فى هذا الهجوم على القوات المدرعة التى قامت بالمجهود الرئيسى فيه الفرقة ٢١ مدرعة على المحور الأوسط فى اتجاه الطاسة ، بينما يعمل لواء مدرع ولواء مشاة فى اتجاه الممرات الجبلية (متلا والجدى) على المحور الجنوبى ، ويعمل لواء مدرع فى اتجاه رمانه على المحور الشمالى انطلاقاً من القنطرة .

ولتنفيذ هذا الهجوم استخدمنا الفرقة ٢١ مدرعة من احتياطى الحيش الثانى ، وظلت فرقة ميكانيكية فى احتياطى الجيش غرب القناة . كما استخدمنا لواء مدرعاً من الفرقة ٤ المدرعة من احتياطى الجيش الثالث ، وظلت هذه الفرقة عدا لواء فى احتياطى الجيش الثالث غرب القناة .

وكان الهدف من تطوير الهجوم هو الوصول إلى خطوط غرب المضايق الجبلية لحرمان القوات الإسرائيلية من حرية حركتها فى مواجهة رءوس كبارى الجيوش من القنطرة شمالاً حتى السويس جنوباً ، وفى نفس الوقت إرغام إسرائيل على تحويل جزء من مجهودها البرى والجوى إلى جبهة سيناء لتخفيف الضغط على الجبهة السورية حتى يتحقق لها الاستقرار .

تقدمت قواتنا المهاجمة فى سيناء ضد مقاومة شديدة للعدو من نيران الستائر المضادة للدبابات الكثيفة ، والتى شكلها العدو أساساً من الدبابات والمقذوفات الموجهة المضادة للدبابات ، كما تعرضت قواتنا لهجمات جوية كثيفة من جانب العدو الأمر الذى جعل تقدم قواتنا بطيئاً . وخلال عدة ساعات ، دار فى هذا اليوم – ١٤ أكتوبر – أكبر وأعنف معارك الدبابات التى حدثت خلال هذه الحرب ، اشترك فيها من الطرفين حوالى ألف وخمسمائة دبابة تدعمها المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات فى ظل نشاط جوى كثيف من الطرفين . وكانت خسائرنا فى هذا اليوم أعلى مما تكبده العدو ، وتوقف هجوم قواتنا بعد أن خسرنا ٢٥٠ دبابة .

لقد كانت دفاعات العدو وصمود قواته قويا بدرجة ملحوظة الأمر الذى يوضح أن القوات الإسرائيلية كانت على استعداد لهذه المواجهة . وهنا يتبادر إلى الذهن فوراً أن نتائج الاستطلاع الجوى الأمريكى الذى تم فى اليوم السابق – ١٣ أكتوبر – قد وصلت بدقة لإسرائيل ، فاستعدت لصد هجوم قواتنا فى الوقت المناسب . .

ومما يجدر ذكره أنه فى حديث للدكتور كسنجر معى فى إحدى زياراته لمصر بعد الحرب ، قال لى إن أمريكا تحققت من عبور الفرقة ٢١ مدرعة من غرب القناة إلى شرقها استعداداً لتطوير الهجوم فى اتجاه المضايق ، وكان يعنى بذلك أن أمريكا استنتجت نوايانا عن استئناف الهجوم فى وقت مبكر . قلت له إن إسرائيل تحققت من عبور هذه الفرقة واستنتجت – بالتبعية – نوايانا ، وكنت أعنى أن أمريكا زودتهم بنتائج الاستطلاع التى تم يوم ١٣ لصالحهم ، ولم يرد أو يعلق وكانت نظرته فيها الرد الكافى .

أما عن دور القوات الجوية فى يوم تطوير الهجوم ، فقد قامت طائراتنا بالتمهيد الجوى للهجوم ، كما وجهت هجماتها الجوية ضد الأهداف المعادية بسيناء ، وتصدت لهجمات العدو الجوية واشتبكت فى معارك جوية ضد الطيران الإسرائيلى أسفرت عن إسقاط ١٥ طائرة فانتوم مقابل ٩ طائرات ميج . وبلغ إجمالى عدد الطلعات الجوية المصرية فى هذا اليوم حوالى ٥٠٠ طلعة . وبرغم ذلك فإن نشاط السلاح الجوى الإسرائيلى كان واضحا وبارزاً من حيث حجم وكثافة هجماته الجوية ، الأمر الذى يؤكد أن المجهود الرئيسى للسلاح الجوى الإسرائيلى قد تحول من الجبهة السورية ليكون أمام جبهة سيناء .

وحول هذا الموضوع سجل الفريق محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى النص الآتى(1) :

« جاءت الأحداث لتؤكد أن القوات المصرية أصبحت تواجه الولايات المتحدة الأمريكية ، وليس إسرائيل وحدها . فقد نلاحظ طفرة مفاجئة فى حجم وكثافة الهجمات الجوية المعادية اعتباراً من يوم ١٤ أكتوبر ، كما رصد تغيير فى الاعاقة الالكترونية المضادة لمحطات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ اعتباراً من هذا اليوم » .

كما سجل الجنرال اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلى فى مذكراته النص الآتى :

« إن أمريكا وافقت على مطلبنا بإرسال أنواع متطورة من الصواريخ والقنابل من ماركة « سمارت » ، وشبكات توجيه وشوشرة تليفزيونية ، بل إنها بدأت بالفعل فى شحنها إلينا . وقد علمنا أن الولايات المتحدة قد أعدت كل هذه الأسلحة للاستعمال الفورى ، وأرسلت معها خبراء أمريكيين لكى يتولوا مهمة التدريب السريع لقواتنا على هذه الأسلحة المتطورة جداً والتى لم تستخدمها أمريكا نفسها . وكانت قد وصلت إلينا قبل ساعات من ظهر يوم الحادى عشر من أكتوبر دفعة أخرى جديدة من طائرات فانتوم وسكاى هوك بلغت ٧٠ طائرة إلى جانب المعدات الأخرى المتطورة » .

□ □ □

وأعود إلى مركز العمليات فى صباح ذلك اليوم – ١٤ أكتوبر – وكنت واقفاً أتابع هجوم قواتنا أمام إحدى خرائط العمليات المعلقة على الحائط منذ الصباح المبكر عندما بدأ الهجوم . وفى حوالى الساعة الثامنة والنصف صباحاً ، وجدت الرئيس السادات – دون سابق علم بوصوله – يقف بجوارى . وبادرنى بالسؤال عن الموقف .

قلت له إن قوات الهجوم تواجه مقاومة شديدة من العدو بشكل واضح ، وأصبح تقدم قواتنا بطيئاً جداً برغم كفاءة القوات المهاجمة ويقودها قادة من أبرز قادة المدرعات . وأضفت أننا يجب أن ننتظر بعض الوقت حتى تتضح الصورة الصحيحة لموقف الفرقة ٢١ مدرعة التى تهاجم فى اتجاه المجهود الرئيسى على المحور الأوسط . وأبلغت الرئيس أن قيادة الجيش الثانى أبلغتنا أن اللواء سعد الدين مأمون قائد الجيش

---

(١) فريق محمد على فهمى – القوة الرابعة – ص ١٨١ .

قد وضع تحت الرعاية الطبية منذ حوالى ساعة ، وتولى قيادة الجيش بالنيابة اللواء تيسير العقاد رئيس أركان الجيش ، وهو خبر لم يكن مريحاً لنا .

انتظر الرئيس السادات واقفاً أمام الخريطة يستمع إلى شرح منى عن موقف قوات تطوير الهجوم ، وموقف قواتنا فى رءوس الكبارى بالجيشين الثانى والثالث . وأذكر أنى قلت له أن نتيجة الاستطلاع الأمريكى الذى تم فى اليوم السابق - ١٣ أكتوبر - يبدو أنها وصلت لإسرائيل فاستعدت لمواجهة هجوم قواتنا بعنف . وغادر الرئيس مركز العمليات عائداً إلى مقر عمله برئاسة الجمهورية بعد أن طلب أن يخطره القائد العام بتقرير عن الموقف عندما تتضح نتيجة المعارك الدائرة . استمع الرئيس إلى شرحى بهدوء ، وانصرف دون أن يبدى انزعاجه كما أنه لم يبد ارتياحه . ولا شك أنه شعر بعدم اطمئنانى لسير القتال .

انتهى هذا اليوم - ١٤ أكتوبر - بقتاله المرير بعد أن تعطل الهجوم وتوقف .

واستمر القتال نشطاً يوم ١٥ أكتوبر حيث بدأت « معركة الدفرزوار » التى أصطلح على تسميتها فى مصر والوطن العربى « الثغرة » .

تحليل عملية تطوير الهجوم :

إن التحليل الأمين لهذه العملية يبين أنها لم تكن ناجحة وبالتالى لم يتحقق الهدف منها ، وتكبدنا فيها خسائر كبيرة فى الدبابات ، إلا أن مجموع الخسائر التى تكبدناها فى الدبابات منذ بدء الحرب حتى نهاية قتال يوم ١٤ أكتوبر كانت أقل من خسائر العدو فى الدبابات حتى نهاية ذلك اليوم .

إن عدم نجاح هذه العملية جعل الكتاب والمحللين يبرزون الأخطاء التى وقعت . والحقيقة أن بعض هذه الأخطاء صحيحة . كما أن البعض الآخر غير صحيح .

فقد نسب بعضهم للتصرفات المصرية ، أنه فى سبيل تطوير الهجوم ، حدث تفريغ لاحتياطى الجيوش وذكر البعض الآخر أننا أقحمنا كل الاحتياطى فى هذه العملية أى فرق مدرعة والفرقة ٢١ مدرعة وهذا القول مردود عليه . فالجيش الثانى دفع الفرقة ٢١ مدرعة لتطوير الهجوم بينما احتفظ بالفرقة ٢٣ الميكانيكية ولواء مظلات ومجموعة صاعقة فى احتياطى الجيش فى الجانب الغربى للقناة . أما الجيش الثالث

فقد استخدم لواء مدرعاً واحداً من الفرقة ٤ المدرعة للاشتراك فى تطوير الهجوم ، وظلت باقى الفرقة ٤ المدرعة فى الاحتياطى بالجانب الغربى للقناة .

لقد كان لنا فى الضفة الشرقية للقناة فى رءوس الكبارى الخمسة أربعة لواءات مدرعة (دبابات) موزعة بمعدل لواء مدرع فى رأس كوبرى كل فرقة . ولما كان المطلوب هو تطوير الهجوم فى اتجاه غرب المضايق ، وبحيث يتم – فى نفس الوقت – تأمين المحافظة على رءوس الكبارى سليمة ، لذلك لم يكن من الممكن استخدام هذه اللواءات المدرعة فى عملية التطوير مع الابقاء على الفرقتين ٤ ، ٢١ المدرعتين فى الاحتياطى كما كانتا منذ بدء الحرب .